ذكرى سيد الوجود

محمد

للأديب محمد البزم

نبيٌّ حبا عدنان فضلاً وسُؤدداً فعمّتْ جميع العالَمين مواهبُهْ
أخو همم لا يُدرِكُ الدهرُ شأوها ويجهلها أعداؤهُ وأقاربُهْ
رأى الكونَ فى تيهٍ من الجهلِ أسفعٍ
تشقُّ عُبابَ الداجياتِ مراكبُهْ
فأطلعَ فى آفاقِهِ فرقدَ الهدى
إلى أن أصاب الحقُّ فى الليلِ حاطبُهْ
وقيدت له الدنيا مَقادةَ طائعٍ ذلولٍ فكانت فى سواها مآربُهْ

* * *

محمدُ إنى عن مديحك عاجزٌ وشأوُ بيانى دونَ ما أنا طالبُهْ
أتيتَ وقد شاخ الزمانُ فردَّهُ نداكَ فتيًّا بعد ما ازبدَّ حالبُهْ
سطعتَ وليلُ الغىِّ مُلقٍ جِرانَهُ على الكونِ تهمى بالرزايا سحائبُهْ
بوانيكَ وحىٌ لا يُرامُ ومنطقٌ بوادرُهُ محمودةٌ وعواقبُهْ
فجئتَ بقرآنٍ حوى كلَّ حكمةٍ
أنارتْ دياجى الكائناتِ كواكبُهْ
يُنصُّ فتُقصى الظالمين حدودُهُ ويُتلى فتُردى المارقين ثواقبُهْ
وقوَّمتَ من زيغِ الأعاريبِ فاستووْا
على منهجٍ للعدلِ يأمنُ راكبُهْ
ورُضتَ جماحَ المستبدّينَ راكباً
من الحقِّ متناً يوضحُ السمتَ لاحبُهْ
تلطفتَ بالغاوى فطوراً تُلينُهُ وحيناً تُصاديهِ وآناً تُغالبُهْ
جلوتَ عماياتِ القلوبِ فأبصرتْ
وزحتَ عن اللبِّ السليمِ غياهبُهْ
ودافعتَ عن ذاتِ الإلهِ بعزمةٍ متى رامتِ الجبّارَ صاحتْ نوادبُهْ
وأوصيتَ خيراً بالكنائسِ مانعاً
ذويها ، وجيشُ الحقِّ تمضى قواضبُهْ
صقلتَ حواشى الدهرِ فانصاعَ طيّعاً
وأذعنَ لا تَسْرى بِشَرٍّ عقاربُهْ
وقلّمتَ أظفارَ الزمانِ فأعرضتْ
عن الضارعِ المسكينِ تنأى مصائبُهْ

* * *

وذى أشَرٍ أنعمتَ بالخيرِ قلبَهُ وقد أنعمتْ بالشرِّ قبلاً ترائبُهْ
وذى دُرْبةٍ رازَ الزمانَ تركتَهُ
كذى الجهلِ ما أجدتْ عليه تجاربُهْ
وغضبةِ حقٍّ فى عُلى العُربِ غادرتْ
عدوَّ بنى عدنانَ سُفلاً مراتبُهْ
وفيلقِ ظلمٍ سارَ كالبحرِ زاخراً يجرُّ به ذيلَ الغوايةِ ساحبُهْ
بعثتَ به جيشاً من الرُّعبِ فارعوى
تضيقُ به أجواؤهُ وسباسبُهْ
يخفُّ إليك الدارعونَ مخافةً وقد أمنتْ أطفالُهُ وكواعبُهْ
تحوطُكَ من عُليا قريشٍ عصابةٌ لها الفلكُ الدوّارُ تعنو ذوائبُهْ
جرَرْتَ بهم ما بين شرقٍ ومغربٍ
كتائبَ عزمٍ نائياتٍ رغائبُهْ
إذا مرَّ منهمْ موكبٌ لاحَ موكبٌ
تمجُّ زُعافَ الموتِ صِرْفاً مقانبُهْ
بكلِّ فتًى ماضى العزائمِ لهذمٍ إذا اعتزَّ شأنُ العُربِ يعتزُّ جانبُهْ
يرومونَ مجداً لا تنى عزماتُهمْ عن المجدِ حتى يدركَ المجدَ خاطبُهْ
دفعتَ بهم فى وجهِ كلِّ عظيمةٍ فخاضوا إليها الموتَ عذباً مشاربُهْ
فأسأرتَ للأقوامِ فى كلِّ وجهةٍ جدًى لم تشبْهُ بالأذاةِ شوائبُهْ
وغادرتَ للإسلامِ صرحاً ممرَّداً تُناطحُ أعنانَ السماءِ مناكبُهْ
فلا زالَ من فرقانكَ البرِّ للورى مناهلُ هدْىٍ صافياتٍ مشاربُهْ

دمشق محمد البزم